

يورغن هابرماس من الحداثة إلى التواصل.

Jurgen habermas: From Modernism to Communication

مالك سماح.

جامعة العربي التبسي – تبسة- الجزائر maleksameh@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2022 / 03/31

تاريخ القبول: 2022 / 02/24

تاريخ الإستلام: 2022 / 01 /10

ملخص:

إن دراسة الفكر الغربي المعاصر ليس بالأمر الهين والسهل خاصة يورغن هابرماس وانفتاح جدل الحداثة وما بعد الحداثة، مع العلم أن الحديث عن هابرماس بمثابة الحديث عن توجه فكري في الفلسفة المعاصرة خاصة وأن الكثير من الباحثين يرون فيه فيلسوف العصر في العالم كله، وكونه مفكر ذا شراهة متعددة الإختصاصات باستحضاره للكثير من الأعلام والمصطلحات الفلسفية لجميع التوجهات الفكرية سواء المنبثقة من التراث الفلسفي الألماني وغيره، دفاعا عن مشروع الحداثة الذي لم يكتمل بعد، ببديل فلسفي هو نظرية الفعل التواصلي. الكلمات المفتاحية: هابرماس، الحداثة، ما بعد الحداثة، التنوير، التواصل، الفعل التواصلي، العقلانية التواصلية، العالم المعيش.

Abstract

To study contemporary Western thought is not an easy matter, especially Jurgen Habermas, and the openness of modernity and postmodernism debate. In fact to speak about Habermas is like speaking about an intellectual orientation in contemporary philosophy, especially since many researchers see Habermas as the philosopher of the age and being a multidisciplinary thinker by mentioning figures and philosophical terminology that refer to all intellectual trends either, from the German philosophical heritage or others, for the purpose of defending the incomplete project of modernity after a philosophical change is the theory of communicative act.

Keywords: Habermas, Modernity, Postmodernism, Enlightenment, Communication, Communicative Act, Communicative Rationality, The Lived World.

لقد شهد القرن العشرين (20م) ظهور العديد من التيارات الفكرية التي شككت في المشروع الحضاري للحدثة والتنوير الغربي، فقد جاء هذا القرن بالكثير من الكوارث على أوروبا وعلى العالم برمته، وهذا ما أدى إلى زعزعة الثقة في القيم والمثل العليا التي دعى إليها عصر التنوير (18م) من حرية ومساواة، ديمقراطية، تقدم، وهذا لم يتحقق إلا بعد مخاضات عسيرة عبر مراحل تاريخية متتالية ضد فكر القرون الوسطى أو عصر اللاهوت الديني الكنيسي، الذي لا يعترف إلا بما يقدمه الكتاب المقدس، ومنطق أرسطو الذي لا يعلى عليه.

ولذلك ومنذ أوائل هذا القرن ظهرت فلسفات متشائمة في التاريخ أبرزها فلسفة ألبرت شفيستر " Albert soveitre " وأرفالد سبنجلر " Oswald Spengher " هذا الأخير الذي رأى أن الغرب قد أفلس فكريا، وأن الحضارة الغربية تسير تجاه الإضمحلال والتراجع والكل يطالب بالتخلي عن السرديات الكبرى التي اعتمد عليها الفكر الغربي طويلا مثل فلسفة ديكارت، هيغل، كانط، فانبثق فكر أو فلسفة ما بعد الحداثة والمتمثلة خاصة في البنيوية والتفكيكية وحكمت على المشروع الحداثي الغربي بالأفلاس، وهذا ما تجسد مع بوابة فكر ما بعد الحداثة " فريدريك نيتشه " Nietzsche " معلنا بشيخوخة الفكر الغربي وقدم جهازا مفاهيميا انطلقت منه كل تيارات ما بعد الحداثة هيدغر " Heiddger " " وفوكو " Faucault " ودريدا " Derrida " ، دولوز " Devleuz " ، ليوتار " Lyotar " وفي الوقت الذي كان يتبلور فيه فكر ما بعد الحداثة أي فترة الستينات والسبعينات كان يتبلور فكر نقدي جديد هو فكر الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس " Habermas " (1929م) وهو أبرز ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت، هذا المفكر الذي هدمه الأساسي هو إعادة بناء الحداثة الغربية من جديد، وفق خطاب معاصر ومغاير فالهدف هو إيقان مشروع الحداثة من الفلسفات ما بعد الحداثة العدمية التي يسيطر عليها شبح الفكر النيتشوي عبر شعاره " الحداثة مشروع لم يكتمل بعد " لأن طاقات العقل التنويري لم تستنفذ بعد، وهذا ما جعله يقف وجهه لوجه مع تيار ما بعد الحداثة، وتجلّى ذلك في الصراع بينه وبين جان فرانسوا ليوتار، فالمشكلة هنا تتعلق بمسألة الحداثة ومساراتها على اعتبار أنها تمثل المشروع الفلسفي "ليورغن هابرماس"، وذلك من خلال قراءة جديدة ومن منظور مخالف لفكر معاصريه، وهذا ما دفعنا لطرح السؤال المحوري ما موقف "هابرماس" من الحداثة الغربية؟ هذه الإشكالية التي تتفرغ عنها مجموعة من الإشكاليات الجزئية والتي يمكن صياغتها في التساؤلات التالية: ما طبيعة الحداثة عند هابرماس؟ وما هو النقد الذي وجهه للخطاب الحداثي وما بعد الحداثي ورواده؟ وما هو البديل الفلسفي الذي قدمه بالاعتماد على هذا النقد من أجل استمرار مشروع الحداثة الذي لم يكتمل بعد بالنسبة له؟

ولتوضيح هذه العناصر اعتمدنا على منهج تاريخي تحليلي تجاه ذلك في تتبع وتقصي مفهوم الحداثة عبر مراحلها المختلفة لتظهر ما بعد الحداثة ثم تحليل أفكار هابرماس وموقفه من المفكرين، أما الهدف من هذه الورقة البحثية فهو الكشف عن فكر نقدي جديد ومختلف في الفكر الغربي المعاصر، تناول الفكر المعاصر له بالنقد والتحليل وخاصة فكر ما بعد الحداثة، هذا الأخير الذي رغم معاصرته له إلا أنه لا ينتمي إليه شخصا بذلك أزمات الفكر الفلسفي من أجل إعادة الثقة للعقل الحداثي الذي غدى عقلا تواصليا حواريا بعيدا عن مآسي العقل التقني الذي بموجبه أصبح الإنسان الغربي يتخبط في مجموعة أزمات خاصة الروحية والأخلاقية منها.

1. موقف هابرماس من الحداثة الغربية:

أ-موقف مدرسة فرانكفورت

من أجل معرفة موقف هابرماس من الحداثة الغربية لابد أن نقف عند موقف مدرسة فرانكفورت، هذه الأخيرة التي افتتحت في الفلسفة المعاصرة ما يعرف بعصر نقد التنوير، وكانت السبابة إلى ما ستقوم به حركة ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية في ثمانينات القرن العشرين، ومن هنا اتخذ شكل نقدها للتنوير ما اصطلح عليه بنقد العقل الأداتي أو العقل الإجرائي أو التكنوقراطي، ولذلك فإن نقد الحداثة الغربية لم يتوقف مع أطرها المرجعية "نيتشه" و"هيدغر" بل استمر مع رواد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت التي تأسست عام 1923م عندما افتتح فليكس ويل "Felix Weil" معهد البحوث الاجتماعية، وتم تعيين كارل غرونبرغ "Gronberg" أول رئيس لها، وهو أكبر ممثلي الماركسية النمسوية وهذا ما يؤكد أن المدرسة في هذه المرحلة كانت على علاقة متميزة بالماركسية وبالأحزاب الشيوعية والإشتراكية، مع عام 1931م وبتولى ماكس هوركهايمر "Horkheimer" (1895-1973) إدارتها تغير توجهها، حيث ركز على علم الاجتماع والفلسفة بدلا من التاريخ والإقتصاد السياسي من أجل دراسته الواقع وحل المشاكل الإنسانية، ولهذا كان اهتمام المعهد في المرحلة منصبا على علم النفس، وعلم النفس الاجتماعي من أجل فهم الوعي الطبقي(علاء طاهر، د س، ص 47)، مع وصول النازية إلى الحكم انقطعت أعمال المدرسة وهجرة معظم فلاسفة المعهد إلى جنيف ونيويورك، ولكن المدرسة في هذه المرحلة ورغم الصعوبات والإضطرابات التي واجهتها إلا أنها عرفت توجهها جديدا عرف باسم النظرية النقدية (علاء طاهر، د س، ص 48) حيث اتخذت من نقد المجتمع الحديث وتوجهاته البربرية موضوعا لها، وأيضا نقد الماركسية باعتبارها نظرية غير مطابقة وغير كافية للعمليات الاجتماعية، انضم إليها مجموعة من الباحثين الذين كان لأفكارهم صدى داخل المجتمع الفلسفي والمعرفي أمثال "هربرت ماركيز" "Marcuse" (1895-1979) هذا الأخير الذي له دور فعال في تنشيط ثورة (1968م) ونيودور أدورنو "T. Adorno" (1903-1969)، وإيريك فروم "E. Fromm" (1900-1979) أين تم طرح موضوع العقل وعودته إلى الأسطورة مع "هوركهايمر وأدورنو" في كتابهما "جدل التنوير" نشر عام 1947م، والذي يعتبر بمثابة البيان الفلسفي للمدرسة وموقفها من التنوير.

ولهذا أعده الكثير من الباحثين نصا تأسيسيا لنقد التنوير في الفلسفة المعاصرة وأصبحت الإشكالية المحورية التي تطرحها أعمال الجيل للمدرسة، خسوف العقل لهوركهايمر، جدل السلب لأدورنو، الإنسان ذو البعد الواحد لماركيز، لماذا سقطت الإنسانية في بربرية جديدة بدلا من الإرتقاء إلى وضع إنساني أصيل؟ مؤكداً أن السبب في ذلك هو العقل التنويري الذي أنجز نقيضه وتراجع عن العديد من القيم التي يبشر بها مثل: الحرية، التقدم، العقلانية، الديمقراطية، فالهيمنة والسيطرة هي من يقف وراء تحريف ومثل التنوير عن طبيعتها ومسارها التاريخي لارتباطها بالمصلحة العلمية والتقنية، ومن هنا أصبح التنوير يحمل بذور فناءه في ذاته يقول "إن كل أشكال التنوير إلى حد ما لم تكن أصيلة وتمنع وتقف حاجزا أمام تحقيق وتجسيد التنوير الأصيل الحقيقي"(الزواوي، 2009، ص 245). فالهدف لم يعد تحرير الإنسان وإخراجه من الظلم والجمود الفكري، بغية السيطرة على الطبيعة،

بل نقيض ذلك حيث تم اقضاء الحرية الفردية في ظل التطور العلمي والتكنولوجي الذي أصبح قوة فتاكة*، وهذا ما جعل عقل الأنوار يقع في أسطورة من نوع أخروي هي التقنية الفعالة يقول ماركيز في مؤلفه " الإنسان ذو البعد الواحد" " أن العقلانية التقنية استطاعت أن تؤسس منطقاً للهيمنة وتحقيق نوع من التوازن المرعب بين ثنائيات الحرية والإضطهاد، الإنتاج والتدمير، التقدم والإنتكاس"(هبرتر، 1988، ص 164). فالإنسان في المجتمعات المعاصرة اندمج إندماجاً كلياً لا يسمح له أن يحتفظ بأي بعد داخلي ومنه أصبح ذا بعد واحد* بسبب لوغوس التقنية أو لوغوس العبودية المستديمة في ظل مجمع رأسمالي صناعي بشيئا كل الصفات الإنسانية بلغة جورج لوكاش " G.Lukas " (1885-1971م) من خلال عرض أفكار رواد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت حول نقد للحدثة والتنوير الغربي يتضح أن هؤلاء تميزوا بسرعة تشاؤمية حيال العقل تحيل إلى العدمية وهذا ما يؤكد حضور الفكر النيتشوي بقوة لدى رواد النظرية النقدية لتوضيح نقاط التقاطع بينهم وبين فلسفة ما بعد الحدثة التي أعلنت عن إنبهار وإفلاس قيم التنوير ومبادئه بعد انحرافها عن مسارها التاريخي التقدمي، هذا الموقف الذي ميز ما بعد الحدثة وجد معارضة مطلقة، ونقدا جذريا من فيلسوف الحدثة والتنوير "يورغن هابرماس" بإعلانه " الحدثة مشروع غير منجز" لينتج عنه نظرية تواصلية أو عقلانية تواصلية (استمرار لمشروع الحدثة) قائمة على الحوار والنقاش بين الذات في إطار النقد البناء لفلسفة الوعي والماركسية والوضعية.

إذ موقفه يتميز بالتجدد والإبداع على مستوى الطرح المنهجي والفلسفي النقدي خاصة أنه فيلسوف ذو شراة متعددة الإختصاصات -علم الإجتماع- علم النفس- فلسفة اللغة ولهذا خلق لنفسه رواقا متميزا عن غيره وخاصة معاصريه فمن هو يورغن هابرماس؟.

ب- هابرماس -سيرة ذاتية:

يورغن هابرماس " Yurgen Habermas " فيلسوف وعالم اجتماع ، اهتم بالسوسيولوجيا لأنها أكثر العلوم ارتباطا بالعقلنة، ألماني معاصر من مواليد 1929م يعتبر أكبر ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت، ولذلك اعتبره الكثير حقبة تجدد في تاريخ المدرسة، بعد مرحلة التراجع التي بدأت بوفاة رواد الجيل الأول هدفه هو أن يقود النظرية النقدية إلى مرحلة جديدة من الشمول والإتساع، يجعلها أكثر انفتاحا على العلوم الأخرى وأكثر تداخلا معها: مثل فلسفة اللغة، وفلسفة (التأويل) (غادامير) والأنثروبولوجيا الفلسفية للمعاصرة، حصل على شهادة الدكتوراه عام 1953م حول الصراع بين المطلق والتاريخ في فلسفة شلينج، اصطدم هابرماس بواقع سياسي وفلسفي كان له بالغ الأثر على توجهاته الفكرية عمل أستاذ مساعد في جامعة فرانكفورت في الفترة ما بين 1956م-1959م، (توم، 1988، ص 160) بتوجيه من أدورنو، وهو اليوم أكبر الأعمدة الفكرية التي تقف على منابر جامعة فرانكفورت محاضرا ومشرفا على مختبرات الأبحاث ضمن التصور العام الذي حكم أفكاره، يعتبر الجمع بين الفلسفة والسوسيولوجيا هو

* ينبغي الإشارة إلى أن البداية الحقيقية لجدل التنوير، كانت في مقال لهوركهايمر بعنوان " الإنسانية والإعتاق، مساهمة في نقد الأنثروبولوجيا في العصر البرجوازي".

* البعد الواحد هو حالة الإغتراب التي يشهدها الإنسان المعاصر.

القاسم المشترك بين هابرماس ورواد الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت، إلا أن اهتمامه بتطور الأبحاث اللغوية جعله في نظر الكثير يشكل منعرجا هاما في تاريخ النظرية النقدية إضافة إلى دراسته التاريخ وهذا ما يؤكد عدم انغلاقه على التراث الفلسفي الألماني فقط، وهذا ما جعله يقدم نظرية منسجمة - شبيهة بنظرية عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز- متخذة من النقد والتحليل منهجه في معالجة كل قضايا الواقع وهذا ليس بالغريب على فيلسوف وريث للفكر النقدي الألماني بدءا من كانط، هيغل، نيتشه، هيدغر، والجيل الأول لمدرسة فرانكفورت فبإنتاجه الفكري الغزير يعد المهندس الرئيسي لنظرية نقدية جديدة. تنقسم حياته الفكرية إلى مرحلتين:

- الأولى: اتسمت بالطابع التحليلي الإيستمولوجي وتمثلت في أعماله (الميدان العام، للمعرفة والمصلحة 1968 كما تميزت بنقد شامل للفكر الوضعي الذي ساد العالم الغربي في ظل تطور الرأسمالية.
- الثانية: تعرف بالمرحلة التأسيسية والمتمثلة خاصة في كتابه نظرية الفعل التواصلية بجزأيه، الأخلاق والتواصل، القول الفلسفي للحادثة وهي الأعمال التي توجت مشروعه الفلسفي (عطيات، 2002، ص 92) ليقدّم بذلك نظرية نقدية تهتم بالتفاهم والحوار والتواصل اللغوي بين الذات مكملًا بذلك مشروع التنوير الغرب الذي لقي خلخلة وزحزحة من طرف تيار ما بعد الحادثة.

ما زال الفيلسوف الألماني "يورغن هابرماس" غزير الإنتاج والتأليف ومازال يعايش التطورات الجارية في العالم الآن من صعود لقضايا الحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية والعدالة والمساواة وهذا يدل على أن مشروعه الفلسفي ليس امتداد للمشروع الذي صاغه الرعيل الأول للمدرسة، فهناك اختلاف كبير وواضح خاصة من ناحية السياق التاريخي الذي ينتمي إليه وهذا ما انعكس على تطوره الفكري.

ج-تصور الحادثة عند هابرماس

حاول هابرماس أن يقدم حولا عقلانية لتجاوز الإنكسارات والتمركزات التي عرفها التنوير الغربي، لذلك وقعت العديد من المجالات الفكرية بينه وبين فلاسفة ما بعد الحادثة، وعلى رأسهم جان فرانسوا ليوتار- من أبرز النقاشات والحوارات الحادة ما أصدرته المفكرة الأمريكية جيوفانا بورادوري بينه وبين "جاك دريدا".

ولذلك يعتبر من أكبر الفلاسفة وعيا بما تجرعه الحادثة من هزات وآمال ومدونته الفكرية تشهد بذلك، فالحادثة عنده مشروع قابل للتجاوز من الداخل أي تستمد ضماناتها من داخلها، متأثرا في ذلك بالوضع السياسي والثقافي الذي ساد ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فإشكالية الحادثة عنده تعني طموحه وعمله من أجل تأسيس نظرية في الحادثة تقوم على تصور تركيبي بين علاقة العقل بالواقع (محمد، 2010، ص 64) ، وهو الأمر الذي اقحمه وألزمه بضرورة الإنخراط الوجودي في التعبير التأمل حول الحادثة، وهذا نصب نفسه مدافعا عن مشروع التنوير علما أنها مهمة صعبة، وفي هذا يقول: "ولهذا فإن التحدي الذي شكله نقد العقل، الذي قاده البنيوية الجديد يحدد زاوية الرؤية التي أحاول إنطلاقا منها إعادة بناء القول الفلسفي للحادثة خطوة إثر خطوة"(يورغن، 1995، ص 5) أي تأسيس نظرية فلسفية للحادثة من خلال النقد الذي أعطى دلالة إيجابية فعالة للحادثة والتنوير أو بناء نظرية في الحادثة والعقلانية تتخطى أزمة الحادثة الشائكة، لكن هل يمكن الحديث عن بناء نظرية للحياة في زمن

تفرض فيه ما بعد الحداثة هيمنتها على الساحة الفكرية الفلسفية وصادر الحكم بانهيار العقل وأفوله؟ تبدو هذه الإشكالية عويصة ومتشعبة الأطراف.

2. الحداثة عند هابرماس

إذا كانت الحداثة مشروع حضاري وظاهرة فكرية تقوم أساسا على إحداث قطيعة مع الماضي وتركته من تراث وتصورات، وتعبّر عن الجديد الذي هو إيجاد فضاءات وعوالم مغايرة لكل أشكال الحياة، فهل هذا هو المعنى الذي تتخذه الحداثة عند هابرماس؟.

يرى "هابرماس" أن لفظ حديث تجر وراءها تاريخا طويلا، ذلك أن كلمة "Modernis" اللاتينية استعملت لأول مرة في نهاية القرن الخامس للميلاد لتمييز الحاضر المسيحي لتلك الفترة عن الماضي الروماني الوثني (محمد نور الدين، 1998، ص 121)، فالحداثة عنده لا ترتبط بمرحلة تاريخية معينة كمرحلة النهضة، أو عصر التنوير، أو المرحلة المعاصرة، وإنما نحدث كلما تجددت العلاقة بالقديم، ثم الوعي بالمرحلة الجديدة، بمعنى أن الحداثة كما يفهمها "هابرماس" هي تعبير عن الوعي بالزمن، لا يفرض إقامة القطيعة مع الماضي، وإنما يهدف استحضاره واستدعائه لفهم الحاضر والمعاصر، وهذا ما جعله ينادي بعدم التخلي عن هذا المشروع على أنه فاشل، وإنما يجب العمل على فحصه النقدي، وهذا ما يؤكد أن العالم الجديد عند "هابرماس" يتميز عن العالم القديم بالإنفتاح على المستقبل وعلى بداية مرحلة تاريخية جديدة حيث يعاد إنتاج الحاضر الذي يولد المستقبل في كل لحظة: "... إنه يعبر عن القناعة ببداية المستقبل، ويشير إلى عصر يحيا بالنظر إلى ما هو آت وينفتح للجديد القادم" (يورغن، 1998، ص 13)، ولا ينكر "هابرماس" أن فلسفة الأنوار كانت منعرجا هاما في تاريخ الفكر الفلسفي بصفة عامة بظهور وعي حداثي يقوم على التغيير والتحول المستمر، إلا أن الحركة الرومانسية التحديثية التي ظهرت في القرن التاسع عشر (19م)، أنتجت برأي هابرماس وعيا متطرفا بالحداثة يدعو إلى الانفصال والتعارض التام بين الماضي والحاضر.

هذا الشكل من الحداثة كما يرى "هابرماس" أنتج ثقافة تسربت إلى القيم وأدت إلى انخراط التجربة التاريخية للحداثة داخل تجربة الحداثة الجمالية، ومن هنا أصبحت الحداثة التي أفرزتها فلسفة الأنوار تأخذ أيضا دلالة تحيل بالدرجة الأولى إلى القطيعة مع الماضي، ورغم أن القول الفلسفي للحداثة يلتقي ويتقاطع مع القول الجمالي في جوانب متعددة إلا أن هابرماس وفي معرض تناوله لمسألة الحداثة قرر استبعاد الإعتبار الجمالي في فهم الحداثة وهو ما ذكره بقوله: "لا بد لي من تحديد موضوعي، إن هذه المحاضرات لم تتناول الحداثة في الآداب والفنون" (يورغن، 1998، ص 6) والغرض هو تحرير الطاقة المعرفية من كل أشكالها الجمالية بغية استخدام هذه الطاقات في مجالاتها المتخصصة لإثراء كل منهما على حدى، وهذا ما يؤكد أن الحداثة الجمالية وفق الرؤية الهابرماسية، استفذت كل طاقاتها الإبداعية على الرغم من انتشارها، أي أنها أصبحت فكرا قديما وهذا ما ذهب إليه "أكتافيو باز" بقوله "نحن نشهد نهاية فترة الفن الحديث" (أبو النور، 2009، ص 122).

-وهذا ما جعل هابرماس يقر أنه لا يجوز التسليم بأن الحداثة "مشروع خاسر" وإن العقل برهن عن عجزه في تحقيق ما وعد به من انتصارات للإنسان الحديث بالرغم مما أصيب به هذا الأخير من تمزقات وظواهر مرضية

أنتجت عقلانية تقنية أداتية آل إليها مشروع الحادثة. هذه الأخيرة التي انطلقت من اهتمامها بالجانب المعرفي والعلمي على حساب الجانب الأخلاقي والفني، فالمشكلة إذن تكمن حسب رأيه في أن العقل الأداتي عقل فاسد يقود إل الهيمنة والإستهلاك والتشيؤ، ليرمي الإنسان في مستنقع الإغتراب، وإنما تكمن في أن المجتمعات الحديثة وخاصة الرأسمالية أعطت هذا العقل الأولوية على حساب الأشكال الأخرى للمعرفة.

ولهذا يشير الكثير من الدارسين إلى أن ملف الحادثة عند "هابرماس" يبدأ انطلاقاً من تحديدات ماكس فيبر " Veber " فما يميز الحضارة الصناعية المتقدمة هو حشر كل شيء في إطار العقلنة والتخطيط والترشيد من أجل تحقيق غايات وأهداف معقلنة وهذا جوهر العقلانية الغائية كما طرحها " ماكس فيبر"، لذا يرى "هابرماس": " أن العقلنة المتزايدة للمجتمع تتم بالموازاة مع عملية إضفاء صبغة المؤسسة على التقدم العلمي والتقني، كلما تدخلت التقنية والعلم في مؤسسات المجتمع لتفقد طابعها كمؤسسات لتغدو الإنتاجية هي المعيار حيث تضع نفسها فوق كل مصلحة". (سالم، 1999، ص 93)

هابرماس يتخذ من "ماكس فيبر" مرجعاً أساسياً للحادثة فهو يستدعيه في كثير من القضايا، خاصة مفهوم العقل الذي يعتبره جوهر الحادثة إلى درجة التماهي بينهما، فمن مرادفات الحادثة العقلانية ومن نقائضها اللاعقلانية، وبهذا يستفيد "هابرماس" من كل ما طرحه "فيبر" محاولاً الإجابة على مجموعة من التساؤلات أهمها:

- كيف يمكن تعويض الفراغ الذي خلفه خسوف المؤسسات التقليدية في عصر الحادثة؟.
- كيف يمكن أن يؤسس لإمكانات أخرى تستند إلى العقل ومقوماته دون الوقوع في النزعات العدمية والكلانية؟.
- كيف تحرر العقل من سمات القمعية " الغائية" وهي السمة التي تعد في نظر فيبر الماهية الغائية للعقل الحديث؟
- كيف يمكن أن تكون الديمقراطية ممكنة، بعد أن غدت مستحيلة خاصة بعد أن أصبحت المجتمعات الحديثة محكومة من قبل النخب الإمبريالية المتسلطة؟.

وأمام كل التيارات ما بعد الحداثية، وفي ظل مواقفها المتضاربة يعلن "هابرماس" أن " الحادثة مشروع لم يكتمل بعد" لأن ما تحتاجه الحادثة هو التشخيص والممارسة النقدية بدل الإكتفاء بالتحفظ المطلق على ما ينتجه العقل بمواجهة الحادثة بعقل استسلامي هي بمثابة انسحاب من الزمن الحديث، ولذلك تعارضت أفكاره تماماً مع كل ما قدمه فلاسفة ما بعد الحادثة حيث يصفهم " بالفوضويين" مؤكداً أن الإحتجاج على الحادثة والعقل مطلب مكون للحادثة نفسها ورفضها يدل على نفي الهوية والذات الغربية، هكذا تحفظ "هابرماس" على النقد الجذري للعقل الذي مارسه كل من "نيتشه" و" هيدغر" وفلاسفة الإختلاف الفرنسيين والجيل الأول لمدرسة فرانكفورت هؤلاء رفضوا مطلقاً الإنصات لإيجابيات العقل الحديث، واعتمدواهم على تجارب جمالية ولذلك يسميهم " بالمحافظون الجدد" ليتبنى موقفاً متميزاً يتضمن الدفاع والنقد لقيم الحادثة والتنوير بطرحه البديل العقلاني لاستكمال مشروع التنوير والمتمثل في نظرية العقل التواصلية التي تتخذ من العقل مفهوماً اجتماعياً له صلة بالأخلاق بعيداً عن العقل في مفهوم المجرد الجوهرية لذلك اتخذ موقفاً رافضاً حيال الأنساق الفلسفية أهمها:

- فلسفة الوعي أو نظرية الهوية التي بدأت مع ديكرت وهيجل ودعمهما هوسرل عندما جعل منها عنوانا لفلسفته.
 - الفلسفة الوضعية مع " أوغست كونت " كنظرية للمعرفة وفلسفة للعلم وقانون المراحل الثلاث (اللاهوتية، الميتافيزيقية، الوضعية) ولكن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن "هابرماس" في نقده للوضعية أكد على ضرورة تحليل العلاقة بين المعرفة والمصلحة لذلك يرى أن كل نمط معرفي في توجهه مصلحة معينة ولذلك وجب أن نشير إلى أنه يميز بين ثلاث أنواع من المصالح وهي:
 - * المصلحة التقنية أو الأدواتية: وهي التي تنظم العلوم التجريبية التحليلية مستخدمة منهجا في استخلاص المعرفة الأدواتية للعلوم الطبيعية، لذلك تتحدد دلالة هذه العلوم في قابليتها للإستغلال التقني، وهذا مكن الإرتباط بين المعرفة التجريبية بالمصلحة التقنية لأن الهدف في النهاية واحد وهو تلبية الحاجات المادية.
 - * المصلحة العملية: ومجالها التواصل بين البشر من خلال تأكيدها دور اللغة كأداة للتواصل (علم الإجتماع، التاريخ).
 - * المصلحة التحررية: هذه المصلحة مرتبطة بحقل كالعادات الإجتماعية النقدية وهي نقدية عند هابرماس من تكوينها ويتعلق الأمر عنده بالماركسية والفرويدية وفلسفة التأمل الذاتي، والهدف عند هابرماس هو إنقاذ نظرية المعرفة من زحف المد العلموي الوصفي، لأن نظرية المعرفة تكتسب أهمية قصوى وهي من يؤسس لتعدد العلوم والمناهج، وبما أصبحت الفلسفة فكرا نقديا بحثا (بول ريكو، 2002، ص 319).
- فالتقدم العلمي التقني لا بد له وأن ينتج تقدم سياسي وأخلاقي وحضاري وهي حتمية لا بد منها. (Yurgen Habermas, 2005, p 347)
- * نقد الماركسية: يرى أن الماركسية انحرفت من مبتغاها وأعطت الأولوية لقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج كمفاهيم إقتصادية تحصر فاعلية الإنسان ضمن العمل أو الفعل الأداتي وهذا ما ألغى الجوانب الدينية والأخلاقية والقانونية من شخصية الفرد، لأنها انصهرت في بعد واحد وهو البعد المادي ولذلك يرى هابرماس أنه من الضروري استبدال هذه المقولات بمقولاتي العمل والتفاعل وهي النشاط الإجتماعي الذي يحقق التواصل بين الأفراد عن طريق مجموعة من الرموز (اللغة) لها دور كبير في تحقيق التلاحم داخل المجتمع.
- يمكن القول أن موقف "هابرماس" موقف متجدد لأنه لم يرفض العقلانية التقنية رفضا مطلقا، بل اتخذ من النقد والدفاع عن مشروع الحداثة شغله الشاغل وهذا ما نرى لديه هما فلسفيا تمخضت عنه نظرية فلسفية معاصرة وهي نظرية الفعل التواصلية أو العقلانية التواصلية كإعادة بناء لمشروع الحداثة الذي لم يكتمل بعد فما هي هذه العقلانية وما هي أسسها؟.

3. أسس العقلانية التواصلية: من الذات إلى الذات:

يتلخص البديل الذي يطرحه هابرماس فيلسوف العقلانية الجديدة فيما يصطلح عليه بالعقلانية التواصلية، هذه الأخيرة التي تعتبر منطلقه واسهامه في بناء مشروع التنوير الغربي باعتباره مشروعاً لم يكتمل بعد، فهي ليست البديل عن العقلانية الأداتية فحسب وإنما هي السد المنيع الذي يحيي العقل من الأفول والإنصهار في بوتقة اللاعقل ما بعد حداثي، ورغم انتماءه لتيار النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت) إلا أنه يرى أنهم لم ينجحوا في تطوير مفهوم العقل التواصلية ولذلك يصفهم بعدم الحساسية تجاه العقلانية التواصلية. (عمر، 2005، ص 348)

وهذا ما دفع هابرماس للعمل من أجل تطوير مفهوم جديد للعقل، يعتبر أكثر كفاءة هذا العقل الذي يرتبط بالحداثة أوثق ارتباط ويستفيد من كل معطيات العقل النقدي (خاصة في صورته الكانطية) وهذا العقل التواصلية الذي يتجاوز كل عيوب العقل الأداتي الغائي المتمركز حول ذاته فهذا الأخير الذي يمارس استراتيجية إختزالية بحق الطبيعة والإنسان وينظر إلى الواقع من منظور التماثل ولا يهتم بالخصوصية، حيث أن قدرته على الإدراك تقوده إلى تقنين الواقع إلى أجزاء غير مترابطة، دون أن تكون له القدرة على إعادة تركيبه الأعر نماذج إختزالية بسيطة، كما ينظر إلى الإنسان على أنه جزء من أجزاء الطبيعة المادية (عبد الله، 2003، ص 139) ، ولذلك أعطى هابرماس العقل النقدي وظائفه وأبعاده لينتج عقلاً تواصلية وسعى إلى تأسيس نظرية اجتماعية تواصلية، تقيم قطيعة كلية مع فلسفة (الذات) ليتم فيها الانتقال من فلسفة الوعي إلى فلسفة التواصل (Yurgen Habermas, 1987, p 9).

لكن كيف يتصور هابرماس العقلانية التي منها تنبثق العقلانية التواصلية؟

يتضح أن مفهوم العقل عند " هابرماس " يسقط من حسابه كل مسألة جوهرية أي أن العقل لم يعد جوهرًا موضوعيًا ولهذا يرى أنه يجب البحث فيما هو عقلائي عوض البحث في مفهوم العقل ذاته ولذلك ركز اهتمامه على العقلانية بدلا من العقل بشكله المجرد " فالعقلانية سواء في مستوى الأراء أو في مستوى الأفعال تشكل مبحثا تقليديا للفلسفة، بل يمكننا القول أن التفكير الفلسفي يستمد مرجعية الوجودية، من السيرورة التأملية للعقل المندمج في عملية المعرفة وفي الكلمة وفي الفعل أيضا حتى لا يصير هذا العقل المبحث الرئيسي والمحوري للفلسفة (عمر، 2005، ص 348) ، يتضح أنه يسعى إلى تأسيس عقلانية لا تهدف إلى احتكار المعرفة وامتلاكها ولكنها تعمل بالدرجة الأولى من أجل البحث عن طريقة لاكتساب المعرفة وكيفية استخدامها من طرف الذات القادرة على الكلام والعمل، ومن هنا تصبح العقلانية عنده مسألة إجرائية تكمن إجرائيتها في قدرتها الفعالة على التأسيس والنقد، مع العلم أن نقد العقل الغربي الذي عمل هابرماس على تدشينه لا يلتقي إجرائيا مع النقد الذي دشنته "نيتشه" و" هيدغر" وغيرهم لأنه ما زال أسير فلسفة الذات، لكن هابرماس يريد وضع أسس عقل تواصلية يتجاوز الذات ليكون نسيجا من الذات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها (يورغن، 1998، ص 452).

حاول هابرماس وضع نظرية عقلانية للمجتمع تقوم على عقلنة العالم المعيش ودمج المجالات الثلاث (العلم، الأخلاق، الفن) (المجالات التي فصلها " فيبر " عن بعضها البعض)، لكي تتعاون لخلق نوع من الإستمرار وتحليل البنية الاجتماعية للعقل قسم هابرماس النشاط الذي يقوم به العقل إلى نوعين:

- نشاط عقلي معرفي أداتي: وهو النشاط المرتبط بغاية معينة، لأنه يحقق منفعة وهذا النوع يستخدمه الإنسان لمعرفة البيئة المحيطة به، مؤكداً أن العقلانية التواصلية لا تهتم بامتلاك المعرفة بقدر ما تهتم بالطريقة التي يتم بها اكتسابها.
- نشاط عقلي تواصلي: تمارسه الذات القادرة على الكلام والفعل غايته خلق التفاهم والحوار بين الذات باعتبارها المسؤول الأول والأخير عما يجري في الحياة الاجتماعية.

إذن مشكلة الحداثة عند هابرماس لم تكن العقلنة كما حددها فيرولكن قصور تطور العقلانية التواصلية هو السبب لكن كل هذا في نظر "هابرماس" لم يكن مبرراً كافياً للتخلي عن مشروع التنوير الغربي، ولذلك ألح على ضرورة تطور المجتمعات الحديثة وتواصلها باستكمال المفهوم الأداتي للعقل ووضعه في إطار أشمل وأوسع، هذا باقحام البعد التواصلي في مفهوم العقلانية، هذا البعد الذي يحقق التفاعل بين الناس عبر التواصل اللغوي الهادف إلى التفاهم المتبادل بين الذات وهكذا يتم الوصول إلى عقلانية تواصلية نقدية تقوم بمعالجة كل الظواهر المرضية في المجتمع الغربي وعلى رأسها ظاهرة التشيؤ والإغتراب.

أ-التواصل والفعل التواصلي:

*التواصل:

لاشك في أن التواصل هو المفهوم الأكثر مركزية في فلسفة "هابرماس" وبالتحديد في المرحلة الثانية من تطوره الفكري، ولا أدل على ذلك من كتابه الضخم والهام نظرية الفعل التواصلي وكتابه الأخلاق والتواصل بالإضافة إلى أعمال أخرى حتى وإن لم يكن المصطلح واضحاً في عناوينها إلا أنه يحتل مكانة بين طياتها ولهذا فإن ضبط وتحديد هذا المفهوم ضرورياً من أجل تشريح البناء الفلسفي لهابرماس التواصل في اللغة الفرنسية (Continuité) ويتضمن مفهوم آخر يتقارب معه وهو مفهوم الإتصال (Communication)(عمر، 2005، ص 15) والحقيقة أن هناك إشكال مفهومي ولغوي يتضح عند تقصي العلاقة بين مصطلحي تواصلي واتصالي أي هل المصطلحان يحملان ويقتربان من نفس الدلالة أم لا؟.

ان مكن الاشكلة واضح في هذا المفهوم، وهذا من حيث النظر إليه لغوياً ومعرفياً فمثلاً ولو انطلقنا من مفهوم عام للتواصل نجد أنه نقل عادي للأخبار بواسطة ميكانيزمات معينة(عمر، 2005، ص 15) ، ولكن هذا لا يعبر المعنى الحقيقي لمفهوم التواصل في أعمال هابرماس.

ظهر المصطلح في القرن الرابع عشر (14م)، في تلك الفترة على شارك مع (à participer) واستمر تداوله إلى القرن الخامس عشر (15م) ليدل على فعل المشاركة أي ما يقاسمه اثنين أو أكثر ليتطور فيما بعد تدريجياً، ليعني وسائل الإتصال سواء النقلية أو الإعلامية وبالتحديد نقل المعلومة(بومدين، 2005، ص 169). وهذا يدل على التطور المفهوم في الميدان الإعلامي لكن في الخمسينات والستينات اتسع مجال مفهوم التواصل إلى فعل المشاركة التي تأخذ معنى الجماعة بعين الاعتبار ومنه أصبح التواصل نشاط جماعي يسير وفق قواعد منظمة ولكن رغم وجود نوع من

التداخل بين المصطلحين إلا أن مفهوم التواصل أشمل من مفهوم الإتصال لأن الأمر هنا يتعلق بإدارة المشاركة (الذوات) وليس بالميكانيزمات الآلية للإتصال كما هو الحال في مجال الإعلام.

لكن هابرماس يحاول أن يوضح التواصلية خارج ذاكرتها الإصطلاحية وتاريخها المفهومي وهذا ما يقود إلى البحث عن مدلول الفعل التواصلية كونه مفتاح الوصول إلى التواصل.

*الفعل التواصلية:

يمثل الطرح الهابرماسي هدماً للرؤية الماركسية التي تعتقد أن العمل هو جوهر ولب النشاط الإنساني بمعنى أن مقولة التفاعل هي المقولة التي أهلكها ماكس فيبر وقبله "كارل ماركس"، فالتفاعل بين الذوات في نظره هابرماس أمر ضروري يتم بواسطة مجموعة من الرموز والقواعد الإجبارية وتستمد هذه الرموز معانيها ودلالاتها من اللغة التي تعتبر خزان الشعوب كما يقول هيغل ليحدد النشاط الإنساني كعمل وتفاعل معاً، مقولة العمل تحدد علاقة الإنسان بالمادة والعالم الخارجي، أما مقولة التفاعل فهي تحدد علاقة الناس ببعضهم البعض، وعلى هذا يقدم هابرماس أربع نماذج استقاهها من نظريات العلوم الاجتماعية وهي كالآتي:

1- النموذج الغائي للفعل: يطلق عليه أيضاً الفعل الإستراتيجي ويفسر تفسيراً نفعياً حيث يوجه لغاية ما.

2- مفهوم نموذج الفعل: وهذا النموذج الذي توجهه مجموعة من المعايير.

3- مفهوم الفعل الدرامي: يحيل إلى المساهمين في فعل مشترك أمام جمهور معين. (حسن، 2005، ص 109)

4- الفعل التواصلية: وهذا الفعل العقلاني الوحيد الذي يرمي إلى فهم حقيقي وغير تنافسي، قائم على التواصل ومدفوع بالفهم التعاوني بين الذوات ومجرد من الأنانية والمصلحة حيث يقول "هابرماس" عن الفعل التواصلية "إننا نتحدث عن الأفعال (النشاطات) التواصلية عندما نجد أن خطط النشاط الخاص بالفاعلين المشتركين في عملية التواصل غير متنافسة مع حسابات النجاح "الأنوية" (المتمحورة حول الآن) ففي مجال الفعل التواصلية لا يتجه المشاركون في البداية للنظر في نجاحهم الخاص لكن يتابعون أهدافهم الفردية بغية الوصول إلى فهم مشترك حول أهدافهم، وذلك بالإستناد إلى تعريفات تتعلق بمجالات مشتركة" (عمر، 2005، ص 362).

يتضح أن اللغة تلعب دوراً أساسياً في نظرية الفعل التواصلية باعتبارها حلقة الوصل بين الذوات، والقدرة على التواصل لا تكون إلا وفق قواعد أساسية لا توجد إلا في اللغة التي تتحدث بها كل الذوات والتي تسمح بالعيش الجماعي أو قيام حياة اجتماعية مبنية على الحوار والتفاهم والنقاش، وهكذا يكون هدف الفعل التواصلية وهو وضع سياق للحياة الاجتماعية التي نجمت عن مفارقات الحادثة في إطار تصور عقلي أو مفهومي، ولهذا يؤكد على ضرورة عنصر التوافق بين المتحدثين أو الفاعلين وبهذا تكون العقلانية التواصلية عقلانية حوار وتفاهم وتقرب من الآخر عكس العقلانية الأداتية التي لا تقدر الجوانب الإنسانية في الذات.

ج-شروط التواصل وعقلنة العالم المعيش:

فلسفة التواصل هي البراديغم الذي اتخذته كحل لأزمة العقلانية الغربية ومنه حقق تمايزا واختلافا عن أسلافه من رواد المدرسة، ولذلك ارتبطت التواصلية في الفكر الفلسفي المعاصره فحينما ذكر "هابرماس" ذكرت. فالتواصل ليس نشاطا عشوائيا بل منظم وفق معايير وشروط وهي:

- 1-النشاط التواصلية: يتم من خلال علاقة بين فردين أو أكثر أي بين الذوات الفاعلة داخل العالم المعيش.
- 2- تتم عملية التواصل من خلال اللغة التي تتم بواسطتها تنظيم العلاقة بين المشاركين فاللغة هي الوسيط الأساسي في النشاط التواصلية.
- 3- التجربة التواصلية هدفها هو الوصول إلى اتفاق بين الذوات المشاركة في التفاعل.
- 4- أن يتاح لكل مشارك الفرصة في الدفاع عن نفسه دون سيطرة أي سلطة.
- 5- إذا شكك أحد المشاركين في التواصل في الدقة المعيارية لتعبير ما، لابد أن تكون هناك مراجعة نقدية أي تخضع العملية التواصلية لما يسمى بـ ديمقراطية الحوار.
- 6- يجب أن يحرر الفعل التواصلية من كل أشكال الضغط وسيطرة وهيمنة كل طرف على الآخر بممارسة القهر الخارجي.
- 7- أخلاقية المناقشة تتطلب الدقة في التعبير.

فالهدف الحقيقي من التواصل هو تحقيق نوع من التوافق والتفاهم بين الذوات عن طريق اللغة السليمة وفق الصدق والمصادقية، الصلاحية المعيارية، والمعقولية.

إذن هابرماس ومشروعه التواصلية هو تواصل مع الأفراد ومع المفاهيم ومع الحداثة التي يرى أنها مشروع لم يكتمل بعد مؤكدا أن بناءها وتطورها وتجاوز سلبياتها يكون من داخلها عن طريق الفعل التواصلية المبني على مبادئ التشاور والتفاهم الإجتماعي ولذلك يمكن القول أن نظرية هابرماس في جوهرها هي نظرية في فلسفة اللغة (هذه الحلقة المفقودة في الفلسفات السابقة عليه والتي تناولت مشروع الحداثة).

خاتمة:

هابرماس أو فيلسوف الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت يعبر عن نمط فكري جديد كان بمثابة إنطلاقة جديدة لتوجه نقدي رسم معالمه بدفاعه عن مشروع الحداثة وارث التنوير الغربي ضد من يسميهم بالمحافظين الجدد أو تيار ما بعد الحداثة من خلال نظريته التواصلية التي هي من ورائها إلى استكمال مشروع الحداثة عن طويق تأسيس عقلانية تواصلية تتجسد في أفق الحوار والنقاش للوصول إلى اتفاق وتفاهم بين الذوات عن طريق اللغة أو ما يسميها البراغماتيك الشاملة وهي الحلقة المفقودة في الفكر الحديث والتي بها يستمر مشروع الحداثة وقيم التنوير بعيدا عن كل الإيديولوجيات السائدة ليثبت بذلك أنه مثقف لا يحركه حنين لماض قدسي كما لا يسكنه أي شعور بالتشاؤم. ولكن هناك صعوبة لتقييم الموع الهابرماسي، ومرد ذلك يواصل العطاء مما يعني أن هذا المشروع يمكن الإضافة إليه كما أنه يقبل التعديل والتغيير وهذا ما أكده بقوله أنه " لم يقدم نظرية مكتملة ثنائية".

فمشروعه تعرض للكثير من الإنتقادات وجعل الكثير من الباحثين يذهبون إلى أن نظريته تحتوي على بعد يوتوبي واضح وتشير إلى مشروع أكثر منه واقعا ولذلك يرى دايمون بودون (Raymon Bodon) أن تطبيق نموذج

الفعل التّواصلّي في المجتمعات المعقّدة إدعاء يصعب تبريره فهو لا يطبق إلا داخل جماعات تواصلية محدّدة لمناقشة مواضع دقيقة (علماء الرياضيات) ولكن رغم ذلك تبقى أهميّة الفكر الهيرماسي في تمسكه بإعادة الطّاقة النّقديّة للعقل وللحداثّة الغربيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية

أ- المصادر:

1-يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحدث، تر: فاطمة الجيوشي ، وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 1995.

ب- المراجع:

1-أبو النور حسن أبو النور حمدي يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، إشراف أحمد عبد الحليم عطية، المكتبة الفلسفية، دار التنوير، 2009.

2- إبراهيم عبد الله، المركزية الغربية، إشكالية السكون والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003.

3- الرواي بكورة، ما بعد الحدث والتنوير موقف الأنطولوجيا التاريخية، دراسة نقدية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1995.

4- بوتو مورتوم، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط5، 1995.

5- بومجال محمد، الفلسفة السياسية للحدث وما بعد الحدث (شرط فهم صراعات الألفية الثالثة)، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 2010.

6- بول ريكور، محاضرات في الإيديولوجيا والبوليتوبيا تقرير ونقدية جورج تايلور، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2007.

7- سالم ياقوت المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1999.

8- عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، منشأ المعارف الإسكندرية، د ط، 2002.

9- عمر سهيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، د ط، 2002.

10- علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، مدخل إلى النظرية النقدية المعاصرة، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1.

11- ماركيز هيرت، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرايشي، الأداتي، بيروت، ط2، 1998.

12- محمد نور الدين، الحدث والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، هابرماس نموذج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 1998.

13- حسن مصدق، هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

14- مطاع صفدي، نقد العقل الغربي الحدث وما بعد الحدث، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990.

أعمال الندوات:

1-بومدين بوزيد: التواصل ونقد العقل الأداتي (أعمال ندوة فلسفة اللغة ونقد الفلسفة في الفكر الغربي، الجمعية الفلسفية المصرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005.

2- باللغة الأجنبية

أ-المصادر

- 1- Yurgen Habermas. Theorie ET Pratique tra Gerard, payot ; Rivages, 2005.
- 2- Yurgen Habermas, Théorie de l'argir communicationnel, Traduit de l'Allemand par Jean louis ; Schhergeliton 01,Ed Fayard. Paris, 1987.